أحاديث مبسطة

عن

القداس الإلهى

أو

الإفخارستيا

1993

القمص تادرس يعقوب ملطى

St. Peter and St. Paul Coptic Orthodox Church
1245 4th St. - Santa Monica
California 90401

سبق لى أن كتبت عن "**المسيح فى سر الإفخارستيا**" **Christ in the Eucharist** بفكر إنجيلى كنسى آبائى، لكننى شعرت بالحاجة إلى كتابٍ شعبى عن القداس الإلهىُ يقدَّم للعامة. هذا ما دفعنى إلى تقديم دراسة مبسطة فى العشيات بكنيسة القديسين بطرس وبولس بسانتا مونيكا مع الإجابة على تساؤلات البعض فى نفس الموضوع، معتمدًا على كتابى السابق "المسيح فى سر الإفخارستيا" إلى حد كبير.

القمص تادرس يعقوب ملطى

1

القداس الإلهى
حياة إنجيلية

إنجيلنا ليس مجرد مجموعة من العقائد النظرية أو التعاليم نعتنقها، ولا أفكار فلسفية تستهوى الفكر، وتدخل بنا إلى مجادلات، لكنه أولاً وقبل كل شئ هو حياةُ معاشة. نعيش العقيدة التى نؤمن بها، ونختبر الحياة الجديدة التى صارت لنا خلال إتحادنا مع اللّه أبينا فى ابنه بالروح القدس. وكما يقول الرسول:

"إن إنجيلنا لم يصر لكم بالكلام فقط بل **بالقوة أيضًا وبالروح القدس وبيقين شديد**" **١ تس ١:٥.**

"أنتم رسالتنا مكتوبة فى قلوبنا معروفة **ومقروءة من جميع الناس**" ٢ كو٣:٢.

هذه الحياة الإنجيلية التى يقدمها لنا مسيحنا بعمل صليبهُ تعاش فى أفكارنا الخفية وإشتياقاتنا وفى سلوكنا العائلى وعملنا، حتى أثناء نومنا، كما فى عبادتنا الكنسية العامة والخاصة... نختبر قوة اللّه وعمل الروح القدس فينا، متمتعين بعمل الإنجيل فى يقين شديد حيث يتجلى السيد المسيح فينا حتى فى أحلامنا.

فإن كان القداس الإلهى قد إحتل مركز الصدارة فى العبادة وقلبها فى الكنيسة الأولى، إنما لأن ممارسته وشركة الشعب فيه يحمل ممارسة حية للحياة الإنجيلية.

ماذا يرى المؤمنون فى القداس الإلهى؟

V V V

القداس الإلهى والعبادة

العبادة للّه ليست مجرد تقديم صلوات وتسابيح مع أصوام ومطانيات وتقدمات للّه ودراسة الكتاب المقدس، إنما قبل كل شئ هى **تَعَرُّف على اللّه** محب البشر، معرفة الإلتصاق به كمخلص شخصى للإنسان. أو كما يقول **القديس أغسطينوس: [**لأعرفه، فأحبه، فأتحد به...] نضيف إليها "فنتمجد معه". هذا هو جوهر عبادتنا أن نتعرف عليه فنحبه ونرتمى فى أحضانه ونوجد معه فى مجده... بهذا نحمل سماته ونصير أيقونة

حية له.

هذه هى معالم الطريق الملوكى الذى **يبدأ بالمعرفة الإلهية وينتهى بالمجد الأبدى حيث تصير أيضًا معرفتنا للّه كاملة نسبيًا.**

هذا هو ما يؤكده اللّه قائلاً: "إنى اريد **حبًا** لا ذبيحة، **ومعرفة اللّه** أكثر من المحرقات" هوشع ٦:٦ (الترجمة السبعينية). يريدنا أن نحمل سمته: "الحب"، هذه التى لن ننعم بها ما لم نتعرف عليه ونقبل الشركة معه.

يُدعى سر العماد "**إستنارة(١)**"، حيث نتعرف على الثالوث القدوس. فيه تنفتح بصيرتنا الداخلية لنرى أنفسنا مع مسيحنا فى الأردن المقدس، به نصير أبناء اللّه، ننعم بأبوة الآب الحانية، وخلاص الابن العجيب، وعمل الروح القدس الذى يشكل إنساننا الداخلى لنحمل أيقونة المسيح، فنتهيأ للعرس السماوى الأبدى. بهذا يُعِدَنا العماد للتمتع بسر الإفخارستيا، أو الإشتراك فى القداس الإلهى، حيث ندخل إلى المقدس الإلهى، لنرى رئيس الكهنة الأعظم ربنا يسوع المسيح يحملنا إلى صليبه، ويدخل بنا إلى عرش نعمته، ونمارس شركة العبادة السماوية على مستوى ملائكى رائع.

يحملنا مسيحنا كأعضاء فى جسده إلى عرشه لنتعرف عليه، بل ويهبنا معرفته الخاصة بالآب فيتحقق قوله: "لا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أنْ يُعلن له" مت ١١:٢٧.

إذ نشترك فى القداس الإلهى ندخل إلى المصالحة مع الآب فى إستحقاق دم ابنه، فتنفتح أعيننا على إدراك محبته الفائقة الأبوية.

Vنحمدك أنت الذى يعرفك الكلمة، المولود منك، الذى **يعلن عنك ويظهرك للقديسين(٢).**

قداس الأسقف سرابيون

هكذا فى القداس الإلهى إذ نثبت فى الابن ويثبت هو فينا ننال معرفته من جهة الآب، **معرفة الإتحاد معه،** وليس المعرفة النظرية العقلانية البحتة. نتعرف على حب الآب الذى قدم لنا ابنه ذبيحة حب لأجل خلاصنا.

فى القداس الإلهى أيضًا نجد الكلمة القدوس يقدم حياته **ذبيحة طاعة كاملة** للآب ، **وذبيحة حب كامل** للعالم كله... قدم عبادة فريدة، وهو المستحق كل عبادة وسجود. عبادة لن تستطيع خليقة ما سماوية أو أرضية أن تقدمها. هذه الذبيحة التى أعطى السيد المسيح كنيسته حق تقديمها... تقدم سر الإفخارستيا ذبيحة المسيح عينها التى لن تتكرر، فيرانا الآب نقدم ذبيحة الصليب المقدسة، نحمل عبادة المسيح، وحب المسيح، وطاعة المسيح، وحياة المسيح وقداسة المسيح.

Vففيما نحن نصنع ذكر آلامه المقدسة وقيامته...

نقرب لك قرابينك من الذى لك(٣).

القداس الباسيلى

وكما يقول **القديس إيريناؤس:** [إذ نحن نقدم ما له نعلن على الدوام تبعيتنا وإتحادنا بالجسد والروح(٤).]

V V V

القداس الإلهى والطبيعة الشاكرة

بعد السقوط صارت لنا الطبيعة الجاحدة ليس فقط من نحو اللّه خالقنا، وإنما كثيرًا ما نمارسها حتى ضد والدينا والذين غمرونا بالعطايا! صرنا فى حاجةٍ إلى تجديدٍ كاملٍ لطبيعتنا لتحمل طبيعة الشكر والحب عوض الجحود والكراهية.

إذ نشترك فى القداس الإلهى ندخل إلى الصليب، وترتفع أنظارنا إلى مسيحنا ينبوع الحب، فنرنم: "تحت ظله إشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقى. أدخلنى إلى بيت الخمر وعَلمُه فوقى محبة" نش ٢:٣،٤.

ما هذه الثمرة التى تقدم لنا عذوبة وحلاوة إلا جسد الرب ودمه الذى يُثَبِتنا فيه ويَثْبت فينا، فلا ننشغل بثمرة شجرة معرفة الخير والشر التى تذَوَّقَها آدم الأول، بل ثمرة الحب الإلهى التى يقدمها لنا آدم الثانى.

يسرى دم المسيح فى عروقنا فنحمل طبيعته الشاكرة. ينتزع عنا روح الجحود وتتهلل نفوسنا كمن هى فى السماء، لا تعرف ماذا تقدم للّه مخلصها إلا تسابيح الحمد والشكر.

إن دعوة الشعب كله، الكهنة مع العلمانيين، الأطفال مع الكبار، للشركة فى القداس الإلهى، إنما هى دعوة للدخول من أبواب السماء المفتوحة لممارسة الحياة السماوية المتهللة الشاكرة! لذا يُدعى القداس الإلهى سر الإفخارستيا أو سر الشكر!

إذا ما قيل: "هل يغير الكوشىّ جلده؟ أو النمر رقطه" إر٢٣:١٣، نجيب بالمسيح يسوع تَغَيّر جلدنا وتَغيرت طبيعتنا. نلبسه ونتناوله، فيحول طبيعتنا المتذمرة الجاحدة إلى طبيعة متهللة شاكرة!

V V V

القداس الإلهى والتمتع بالخلاص

ماذا نعنى بالخلاص إلا أن نقتنى المخلص نفسه؟! فالخلاص الذى قدمه لا يعنى مجرد غفران خطايانا، إنما يعنى إمتلاكنا إياه، فننعم بكل أحداث حياته كأنها أحداثنا الخاصة: ميلاده من البتول، عماده فى الأردن، تألمه، صلبه، موته، قيامته وصعوده إلى السموات... فأرى كل هذه الأحداث قد تحققت باسمى ولحسابى. به أنال الولادة الجديدة، أتألم وأصلب عن العالم، أموت عن الخطية، وأقوم وأجلس معه فى السمويات (أف ٢:٦).

فى سر الإفخارستيا أقتنى المخلص بكل مراحل حياته، بكونه نصيبى، كقول إرميا النبى: "نصيبى هو الرب قالت نفسى"، أقتنيه مصلوبًا قائمًا من الأموات جالسًا عن يمين أبيه... والعجيب أنه أسس هذا السر قبل أحداث الصلب والقيامة والصعود، ليؤكد أن عمله الخلاصى لا يرتبط بالزمن. ذبيحته فائقة للزمن، نالها التلاميذ فنالوا الجسد القائم الممجد قبلما يُصلب ويقوم ويصعد، وتناله الكنيسة الآن مؤكدًا أن ذبيحته الفردية لا تقدم مع الزمن، ولا تخضع لزمنٍ... إذ لا يزال فى السماء كحملٍ مذبوحٍ يشفع فى كنيسته بدم صليبه (رؤ٦:٥).

إذن القداس الإلهى يفرز ذبيحة المسيح عن الذبائح الحيوانية التى إنتهت بتقديمها... لأن مسيحنا الذبيح قائم حىّ فى وسط كنيسته، عامل بصليبه، قادر على تجديد طبيعتنا!

وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم:

]عندما ترى المائدةُ معدة قدامك، قل لنفسك:

من أجل جسده لا أعود أكون ترابًا ورمادًا،

ولا أكون سجينًا بل حرًا.

من أجل هذا (الجسد) أترجى السماء، وأتقبل الخيرات السماوية، والحياة الخالدة، ونصيب الملائكة، والمناجاة مع المسيح(٥)!]

القداس الإلهى فى الحقيقة هو سر زواج النفس مع مسيحها كعربون للعُرس الأبدى. فى هذا العرس تتم ملكية متبادلة، نملكه ويملكنا. أخذ ما لنا، لنأخذ ما له... أى خلاص أعظم من هذا؟! أشعر كأن اللّه قد ترك الكل ليقتنينى، وأنا أشتهى أن أترك الكل وألتصق به! أدخل إلى كنيسته لأحمله فى داخلى وأمسك به ولا أرخه!

V V V

القداس الإلهى والدخول فى عهد مع اللّه

القداس الإلهى هو تجديد وتأكيد وممارسة للعهد مع اللّه كقول السيد المسيح: "اشربوا منه كلكم،

لأن هذا هو **دمى الذى للعهد الجديد،**

الذىُ يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" مت ٢٦:٢٨؛ لو٢٢:٢٠؛ ١ كو١١:٢٥.

ما هو هذا الميثاق أو العهد الجديد المبرم بين اللّه والمؤمن؟ وما هى علاماته؟ وما هى شروطه ومنافعه؟

أولاً: حينما نشترك فى القداس الإلهى نمارس عهدنا مع اللّه الآب الذى قدمه الابن **لا بإقامة نصبٍ حجرى** (أو كومة من الحجارة) كما فعل لابان ويعقوب (تك ٣١:٤٤-٥٤) يشهد عليهما ويضع حدًا لموضعهما، فلا يعتدى أى طرف منهما حدود النصب، إنما أعطانا جسده ودمه لينزع عن قلوبنا طبيعتها الحجرية. أقام نفسه **حجر الزاوية** الذى يربطنا مع الآب، كما يربطنا مع بعضنا البعض. هذا الجسد الذىُ علق على الصليب بين السماء والأرض، لا ليضع حدًا بل ليوحِّد السماء مع الأرض. يفتح القلوب الأرضية كى يدخلها السماوى، ويفتح أبواب السماء لكى يدخلها البشريون. إنه

يوحِّد ويؤلف ليس فقط السماء مع الأرض، وإنما الشعب مع الشعوب، فينزع عنا روح الغربة عن اللّه أبينا، كما عن السمائيين وعن إخوتنا الأرضيين!

فى القديم كان الحجاب الذى يفصل قدس الأقداس عن القدس ثقيلاً جدًا، يحتاج إلى ٣٠٠ كاهنًا يحملوه، أما وقدُ علق جسد الرب على الصليب إنشق حجاب الهيكل وإنفتحت السماء على الأرض، وصار لى حق الدخول إلى عرش نعمته!

شكرًا للّه، إذ فى القداس الإلهى نكتشف أبواب السماء المفتوحة، بل ونكتشف حضن الآب الذى يترقب إلتصاقنا به خلال ثبوتنا فى الابن الوحيد الجنس.

ثانيًا: فى القديم **كان الدم أساسيًا فى إقامة العهود**، وقد أشار إرميا النبى إلى عادة المتعاقدين أن يقطعا عجلاً إلى اثنين ويجتازا بين قطعتيه (إر ١٨:٣٤). وكان ذلك يحمل معنى إنتقاميًا وآخر قدسيًا. فذبح الحيوان يشير إلى ذبح الحانث بالعهد، وفى نفس الوقت يعنى تقديم ذبيحة فداء عن الخطأ فُيحسب الإنسان بارًا.

حدث نفس الأمر عندما أقام اللّه عهده مع إبراهيم (تك ١٥).

وهناك أيضًا مفهوم آخر للدم، وهو أن **يأكل المتعاقدان من ذبيحة واحدة لتقيم بينهما نوعًا من القربى**، فإذ هما ليسا قريبين حسب الجسد يأكلان من ذبيحة واحدة فيسرى فيهما دم واحد!

فى القداس الإلهى يسرى دمه فينا **فيجعلنا أعضاء فى جسده، عروسه المقدسة، التى تتحد به.** لا ندخل بدم حيوانات عاجزة عن أن تطهر الداخل وتقدسه، وأن تقربنا إلى اللّه خالقنا، إنما نجد دم ابن اللّه الذى قدم حياته ذبيحة حب واهبة للحياة. بموته لم يهلك كما حدث مع ملايين الذبائح القديمة، إنماُ يهلك موتنا وينزع فسادنا، واهبًا إيانا قوة القيامة.

بهذا نرى القداس الإلهى إبرامًا لعهدٍ فريدٍ، هو ميثاق عرس سماوى أبدى، لا تستطيع الأحداث حتى الموت أن تبطله أو تضعف عمله، ندخل بهذا العهد إلى العضوية فى العائلة الإلهية فنصير **أهل بيت اللّه** (أف ٢).

ثالثًا: عند إقامة عهد غالبًا ما كان المتعاقدان يشتركان معًا فى مائدة واحدة،

خاصة بين القبائل. هذا كان يحمل لهم معنى خاصًا، أنهما يشتركان فى طعامٍ واحدٍ هو مصدر الحياة، وكأنه قد صارت لهما حياة واحدة وينتسبان إلى عائلة واحدة. هذه هى وليمة المصالحة أو وليمة إقامة قرابة فيما بينهما.

أما القداس الإلهى فيدعى "**المائدة المقدسة**" حيث يقدم السيد المسيح جسده ودمه طعامًا وشرابًا... ننتعش بهما فندخل فى إتحاد حقيقى مع اللّه فى ابنه.

V V V

القداس الإلهى فصحنا الجديد

فى كل قداس إلهى نترنم مع الرسول، قائلين: "لأن فصحنا أيضًا المسيح قد ذُبح لأجلنا... " ١ كو٥:٧.

كان اليهود يعيدون الفصح بكونه ذكرى العبور، حيث عَبر الملاك المهلك على أبوابهم ولم يمسهم، وفيه تحقق عبور الشعب من عبودية فرعون للدخول إلى أرض الموعد.

كان الفصح عيدًا يحمل ذكريات ماضية مع تَرَقُّبات لأعمال إلهية يتوقعونها، حاسبين أن ليلة الفصح هى:

-ذكرى سنوية لخلقة العالم.

-ذكرى لختان ابراهيم،

-وذبيحة إسحق،

-وخروج يوسف من السجن،

-والعتق من السبى،

-وظهور المسيا،

-ومجئ موسى وإيليا،

-وقيامة الآباء،

-ونهاية العالم.

أما نحن فنعيد الفصح مع كل لحظة من لحظات حياتنا، خاصة حين نحتفل بالقداس الإلهى، فنجتمع حول مسيحنا – حمل اللّه – بروح التهليل، بكونه فصحنا الذى

عبر بنا من الظلمة إلى النور، ومن مملكة إبليس إلى ملكوت اللّه المفرح، ومن الموت إلى الحياة... وهبنا قيامته سرّ بهجة وقوة وتسبيح لا ينقطع.

Vيتحقق سر الفصح فى جسد الرب...

أُقتِيد كحَمل، وُذبح كشاة، مخلصًا إيانا من عبودية العالم، ومحررنا من عبودية الشيطان كما من فرعون، خاتمًا نفوسنا بروحه، وأعضاءنا الجسدية بدمه...

إنه ذاك الذى خلصنا من العبودية إلى الحرية، ومن الظلمة إلى النور، ومن الموت إلى الحياة، ومن الظلم إلى الملكوت الأبدى.

إنه ذاك الذى هو عبور (فصح) خلاصنا(٦).

الأب ميلاتو أسقف ساردس

V V V

القداس الإلهى والحياة الكنسية

ما هى الكنيسة إلا **الحياة الجديدة المُقامة فى المسيح يسوع**، والتمتع بخبرة عمل المسيح الخلاصى... هى استمرار لعمل السيد المسيح النبوى والكهنوتى والملوكى...

إذ نحتفل بالقداس الإلهى ندخل كما إلى بيت الفخارى (إر ١٨) لنرى مسيحنا الفخارى السماوى تمتد يده إلينا نحن الطين ليجعل منا آنية مكرمة تحمل فى داخلها جسد الرب ودمه كنزًا سماويًا.

بالقداس الإلهى نلتقى مع المسيح الذبيح، فنصير كنيسة المسيح، جسده، التى تشاركه بذله وآلامه وصلبه، فتختبر حياته وقيامته!

يصير لنا الألم سمة رئيسية فى حياتنا، لا كوصية نلتزم بطاعتها، وإنما كثمر طبيعى لتمتعنا بالثبوت فى المصلوب وسكناه فينا.

فى الإفخارستيا نصير جسد المسيح، لا بصورة رمزية، بل أعضاءً حقيقية بالنسبة للرأس (١ كو١٢:٢٧)، وأغصانًا فى الأصل وكما يقول **القديس أغسطينوس**: [أنتم فوق المائدة! أنتم داخل الكأس(٧)!] وهو بهذا إنما يعنى أننا كأعضاء جسد المسيح صار لنا شرف أن نقدم حياتنا ذبيحة حب للّه، وأنْ نبذل من أجله.

مرة أخرى يرى **القديس أغسطينوس** فى القداس الإلهى كأن السيد المسيح رئيس الكهنة الأعظم يقدم للّه أبيه كنيسته ذبيحة جامعة، تشاركه حبه الباذل. ففى حديثه عن الكنيسة، مدينة اللّه، يقول: [هذا ما تقدسه الكنيسة خلال سر المذبح! إذ وهى ترفع القرابين للّه تقدم نفسها قربانًا له(٨)].

فى أول رسالة بعثها لى المتنيح القمص بيشوى كامل عند سفره إلى لوس أنجيلوس عام ١٩٦٩ كتب لى: [إننا وإن كنا قد إفترقنا بالجسد لكننا نجتمع معًا حول المذبح والذبيحة المقدسة]. هذا هو مفهومنا للإحتفال بالقداس الإلهى... إنه تلاقٍ للكنيسة كلها حول المذبح الواحد والذبيحة الواحدة، وكما يقول الرسول بولس: "فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعًا نشترك فى الخبز الواحد" ١ كو١٠:١٧.

ويقول **القديس أغسطينوس:** [ينشأ سر سلامنا ووحدتنا فوق مذبحه(٩).]

أخيرًا فى الإحتفال بالقداس الإلهى نتعرف على طبيعة الكنيسة السماوية، فإننا إذ نلتقى بالمسيح السماوى يحملنا إلى حجاله السماوى كنيسة سماوية. يقول **القديس أمبروسيوس:** [إنهم يسرعون تجاه الوليمة السماوية(١٠)]، ويقول **الأب ثيودور:** [فى كل مرة نخدم ليتورجية هذه الذبيحة، يليق بنا أن نحسب أنفسنا كمن هم فالسماء(١١)!] ويقول **القديس إيريناؤس:** [يلزمنا أن نعرف بالخبرة أننا ننال الحياة الأبدية، لا من طبعنا، بل بقوة هذا الكائن الأسمى "**الإفخارستيا**"!]

فى إحتفالنا نرتفع فوق الزمان والمكان، حيث ننال مسيحنا الذى لا يشيخ ولا يخضع للزمن، بل يدخل بنا إلى أبديته.

V V V

القداس الإلهى سبتنا الحقيقى

كان اللّه يشدد على وصية حفظ السبت التى وضعها كعيدٍ أسبوعى ليسكب روح الفرح على شعبه، ومع هذا فكثيرون وجدوها وصية صعبة. أما فى الإحتفال بالقداس الإلهى فنحفظ الوصية بمفهوم روحى سماوى.

إن كان "السبت" يعنى "**الراحة**"، فأية راحة يتمتع بها المؤمن أكثر من **الإفخارستيا** بكونها سر حلول السيد المسيح المصلوب القائم من بين الأموات فى وسط شعبه، وتمتع بالخلاص من الخطية.

Vإننا نتمسك بالسبت الروحى حتى مجئ المخلص، إذ استرحنا من الخطية(١٢).

القديس إكليمنضس الإسكندرى

إذكر كلمات المتنيح القمص بيشوى كامل حين كان يتحدث عن الكاهن أنه يجمع كل أتعاب الشعب، لا ليحملها، وإنما ليُلقى بها عند مذبح المسيح فى القداس الإلهى، فيحملها المصلوب، واهبًا إيانا راحة حقيقية وسلامًا فائقًا وفرحًا مجيدًا وسط آلام الخدمة وأتعابها. خدمة الكاهن بدون القداس الإلهى مستحيلة!

دعته الكنيسة "**يوم الرب**"، لأن فيه استراح الآب من نحو الإنسان إذ وجده بارًا

ومقدسًا فى ابنه الذبيح، ويستريح الإنسان من نحو اللّه إذ يجد فى الإفخارستيا مصالحة وحبًا وإتحادًا مع القدوس.

غالبًا ماُ يقام سر الإفخارستيا فى يوم الأحد، اليوم الثامن من الأسبوع، أو الأول من الأسبوع الجديد، فيه دخلنا بقيامة الرب إلى الحياة الأخروية الإنقضائية (حيث رقم ٨ يشير إلى ما وراء الزمن).

V V V

إذن إحتفالنا بـ**الإفخارستيا** هو تمتع بالحياة الإنجيلية:

*فيه نقدم للّه **عبادة فريدة** بإتحادنا بالمسيح الذى يكشف لنا عن معرفته للآب، فنعرفه ونحبه ونتحد به!

*فيه نخلع أعمال إنساننا القديم – الجحود – **ونرتدى طبيعة المسيح الشاكرة**... فنشكر ونسبح بكل كياننا.

*فيه **نقتنى المخلص ذاته**، فننعم بعربون مجده، وندرك خلاصنا به وفيه.

*فيه **نجدد عهدنا مع اللّه** مختومًا بالدم المبذول على الصليب!

*فيه نتهلل **بعيد الفصح** الروحى الذى يعبر بنا من أرضنا إلى سمواته.

*فيه نمارس **الحياة الكنسية** كحياةُ مقامة فى المسيح، خلالها ننعم بالإتحاد معًا، والإرتفاع إلى شركة السمائيين.

*أخيرًا فيه **نعيِّد بسبتٍ** فائقٍ، حيث الراحة الداخلية وسط آلام هذا العالم.

---

1. St. Justine: Apology 1:61; St. Clem. Alex.:Paed. 1:6: St. Basil On the Holy Spirit, 15.
2. The Eucharistic Prayer.
3. Before the Epeclesis.
4. Adv. Haer. 4:18.
5. On 1 Cor. hom. 24.
6. Paschal Mystery, p. 26-39.
7. Serm.229 to the new-baptized.
8. City of God 10:6:23; Serm. 227.
9. Serm.272 to the new-baptized.
10. Myster. 43.
11. Catech. hom. 15:20.
12. Library of the Fathers of the Church, vol. 43.

2

كيف نحتفل بالقداس الإلهى؟

القداس الإلهى ليس مجرد ممارسة تعبدية، لكنه عيد مفرح. مع كل قداس إلهى يدخل المؤمنون – كهنة وشعبًا – إلى الإحتفال بعيد قيامة ربنا يسوع، فيشعرون ببهجة القيامة العاملة فى حياتهم... يعيدون بغير انقطاعٍ بالمسيح القائم من الأموات الساكن فى قلوبهم!

أذكر فى أول قداس إلهى إحتفلت به فى كنيسة الشهيد مارجرجس بإسبورتنج أن وقت القداس قد طال جدًا. وعندما إلتقيت بالمتنيح "عم صادق"، وهو إنسان بتول كرَّس حياته للشهادة العملية للإنجيل، قلت له إن القداس قد طال اليوم. وإذا بالدموع تنزل من عينيه وهو يقول: "كيف تقول هذا؟! من يستحق أن يشترك فى القداس الإلهى؟! ليتنا نقضى عمرنا كله فى القداس الإلهى!"

كان من عادة "عم صادق" ان يهرب بعد صرف ملاك المذبح إلى منزله ليغلق على نفسه فى حجرته الخاصة لمدة ساعة أو أكثر لا يلتقى بأحد، لأنه حمل السيد المسيح فى داخله!

هكذا كانت حياته كلها عيدًا لا ينقطع من أجل ارتباطه بالقداس الإلهى، الذى سكب عليها سلامًا فائقًا وفرحًا مجيدًا لا يُعبر عنه!

هذا الشعور كنا نشعر به فى طفولتنا، إذ كان للقداس الإلهى بهجته فى حياة العائلات، حيث كانوا يقومون بتنظيف منازلهم كل يوم سبت استعدادًا لبهجة العيد الأسبوعى: الأحد، أو الشركة فى القداس الإلهى. يصحب الإستعداد الخارجى استعدادًا داخليًا للنفس لإستقبال عريسها كما فى حفلٍ زيجى.

وكأننا فى القداس الإلهى نأتى بهمومنا وأتعابنا الأسبوعية ونلقيها عند قدمى مسيحنا، الذى يملأ حياتنا بفرحه المجيد، ويدخل بنا إلى راحته.

السؤال الذى كثيرًا ما يوجه إلينا:

لماذا نعانى من تشتيت الفكر أثناء القداس الإلهى؟

أولاً: لا نستطيع عزل إحتفالنا بالقداس الإلهى عن حياتنا اليومية. فإن كان لمسيحنا النصيب الأول فى وقتنا وفكرنا؛ نبكر إليه كما نختم يومنا بلقائنا معه... **نناديه دومًا خلال يومنا أينما كنا، وننشغل به حتى فى أحلام يقظتنا وأثناء نعاسنا...** عندئذ تتهلل نفوسنا بالقداس الإلهى، ونشعر بإحتفالنا انه رفع للقلب وكل إنساننا الداخلى إلى السماء.

ثانيًا: بممارستنا التوبة اليومية نشعر بالحاجة إلى المخلص، ويتحول القداس الإلهى إلى متعة الثبوت فى المخلص. بهذا يصير فكرنا وأحاسيسنا ومشاعرنا ممتصة فيه.

التوبة كقول السيد المسيح هى طريق الملكوت؛ إنها تهبنا نحن الخطاة الإستحقاق للتناول! أما **عدم التوبة فيقف عائقًا عن دخولنا الطريق الملوكى المفرح!**

ثالثًا: المؤمن الذى **يفتح الكتاب المقدس فى بيته كل يوم** ليجد نفسه ترتفع كعروسٍ تتحد بعريسها الكلمة المتجسد، تفرح وتتهلل بالإحتفال بالقداس الإلهى، إذ تجد فيه عرسًا حقيقيًا يبتلع كل أحاسيسنا!

رابعًا: شركة الشعب مع الكهنة فى الإحتفال بالقداس الإلهى. فالقداس الإلهى هو خدمة الكنيسة كلها، كهنة وشعبًا، يصلون معًا بالروح كما بالذهن، كقول الرسول بولس (١ كو ١٤:١٤). لهذا يليق ممارسة القداس بلغة مفهومة، خاصة بالنسبة للجيل الجديد فى المهجر.

يليق بالمؤمن فى القداس أن يشترك فى التسابيح والتشكرات والطلبات، فيدرك أنه يلتقى مع السمائيين تسابيحهم، كما يحمل فى قلبه العالم كله – المؤمنين وغير المؤمنين – مصليًا لأجل خلاص الجميع وبنيانهم الروحى ووحدتهم فى الإيمان والحب.

خامسًا: بالصوم، فقد اعتادت الكنيسة الأولى فى الشرق والغرب على **الإحتفال بالقداس الإلهى وهم صائمون، كإستعداد روحى لإستقبال جسد الرب ودمه وتناولهما.**

ربما يتساءل البعض: **هل كان السيد المسيح وتلاميذه صائمين؟**

إذ صار كلمة اللّه إنسانًا حقيقيًا خضع للناموس الطبيعى كما للناموس

المكتوب بإرادته، حتى قبل الختان فى جسده، ومارس العبادة كواحدٍ منا، وحفظ السبت ممارسًا إياه لا بالحرف القاتل وإنما بعمل الخير وإعلان تحننه على الغير.

كان السيد المسيح وتلاميذه صائمين فى يوم الخميس الكبير حيث أسس السيد المسيح سر **الإفخارستيا** للأسباب التالية:

.1منذ أيام عزرا كان الخميس يوم صوم وصلاة(١)، لأن موسى بدأ صومه على جبل سيناء يوم الخميس لإستلام الوصايا العشرة والناموس(٢).

كان الشعب كله بقياداته يصوم كل خميس تذكارًا لإستلام الشريعة فى القديم، أفلا يليق بنا نحن أن نصوم إستعدادًا لقبول الكلمة ذاته، جسده ودمه المبذولين فينا؟! إننا لا نستلم حجرى الشريعة بل الكلمة ذاته!

.2كان السيد المسيح وتلاميذه صائمين، ليس فقط لأنه كان يوم خميس، ولكن كان يلزم على كل يهودى لم يستطع الإشتراك فى خدمة الهيكل ان يصوم لمدة أربعة أيام قبل الفصح، لا يأكل ولا يشرب حتى الغروب(٣).

.3كتذكار لخلاص أبكار الشعب عندما قتل الملاك المهلك أبكار المصريين فى ليلة الخروج من العبودية، كان كل بكر عبرانى يلتزم بصوم يوم الفصح بطريقة حازمة. وإذ يحسب السيد المسيح بكرًا، لهذا بحسب التقليد اليهودى كان صائمًا.

على أى الأحوال إن كان السيد المسيح قد طلب من تلاميذه أن يصوموا ويصلوا لأجل الغلبة على الشياطين (مت١٧:٢١) أفليس بالأولى أن نصوم لنستعد بالتمتع بواهب الغلبة والنصرة؟!

إذن إن كان الصوم هو أحد العناصر الرئيسية للإستعداد للفصح (الصوم، الصلاة، الإعتراف بالخطايا مع توبة القلب، تقديم ذبائح وتقدمات للرب) فإنه يليق بنا أن نصوم إستعدادًا للتمتع بجسد الرب ودمه فصحنا الذى ذبح لأجلنا.

لقد كان السيد المسيح وتلاميذه صائمين... ولهذا نجد جميع الكنائس الأولى تؤكد ضرورة الصوم مع التوبة استعدادًا لهذا السر العظيم، ولاُ يعفى منه إلا المرضى وغير القادرين!

V V V

---

1. Palastine in Days of Christ p. 38; Fr. James L. Meagher: How Christ sad the First Mass?, Illinios 1984, p. 321.
2. Babyl. Talmud: Baba Kamma, vol. 82-1; Edersheim: Life of Christ, ii, 291, Lev. 16:29; Joel 1:1c; Acts 12:2 etc.
3. Edersheim: The Temple, p. 300.

3

القداس الإلهى

رحلة إلى السماء

القداس الإلهى فى جوهره هو رحلة إلى السماء، تعيشها الكنيسة كما يعيشها كل مؤمن فيها، كاهنًا كان أم من الشعب. لذا يصعب تقسيمه إلى وحدات منفصلة، اللهم إلا لأجل الدراسة والفهم الروحى ومتابعة القداس الإلهى، لا بالإستماع إليه، بل بالشركة فيه.

أقسام القداس الإلهى

فى الكنيسة الأولى يحوى القداس الإلهى جزئين رئيسيين:

.1**ليتورجيا الموعوظين:** يغلب عليها الطابع التعليمى والوعظى والكرازى دون تجاهل للجانب التعبدى. يسميها بعض الدارسين **السيناكزس** Synaxis.

.2**ليتورجيا المؤمنين،** أو الإفخارستيا، وبالقبطية "الأنافورا"، وهى عمل تعبدى عميق يرتفع بنا الروح القدس إلى السماء عينها لنلتقى بالمسيح الذبيح القائم من الأموات ونتحد به، دون تجاهل للجانب التعليمى.

يرى البعض أن القسمين كانا منفصلين فى جميع الكنائس وتلاحما معًا فى القرن الرابع حتى صارا يمثلا طقسًا واحدًا.

أقسام القداس الإلهى القبطى

الليتورجيا الإلهية هى رحلة إلى السماء ننعم بها بالروح القدس فى صحبة ربنا يسوع المسيح لنثبت فيه وهو فينا، فنجد لنا موضعًا فى حضن أبيه:

.1التسبحة والخدمة الإلهية (رفع بخور باكر Matins): هما إعداد لهذه الرحلة، أو قل هما دعوة موجهة إلى العالم كله، المنظور وغير المنظور، العاقل وغير العاقل، لكى يدخل الجميع فى حياة تسبيح للّه الخالق والمخلص.

قبلما تبدأ صلوات الليتورجيا يحمل الكاهن مع الشعب كل الخليقة فى

صحبتهم ليسبحوا المخلص ويدخلوا معه فى مناجاة... إننا نتهلل أننا نشارك السمائيين تسابيحهم، وندعو السماء والأرض حتى الحيوانات والطيور والجبال والأنهار وكل خليقة أن تمجد الخالق!

يلتف السمائيون مع الأرضيون حول "الصليب" ليرنموا لحمل اللّه حامل خطية العالم، هذا الذى يدخل بنا نحن الأرضيين إلى شركة أمجاده السماوية.

هذا مع رفع القلب للصلاة من أجل كل احتياجات الكنيسة والبشرية.

.2تقدمة الحمل: قديمًا كان هذا الطقس جزءً من ليتورجيا المؤمنين، لكن منذ القرن الخامس صار هذا الطقسُ يمارس قبل ليتورجيا الموعوظين حتى يتهيأ الشعب لتجديد العهد مع اللّه خلال سماعهم كلمة اللّه وتمتعهم بالشركة فى الأسرار المقدسة.

على أى الأحوال، فى بدء انطلاق الرحلة يليق بالكنيسة أن تتعرف على حساب النفقة، فتلتزم بتقديم حياتها كلها فى المسيح الذبيح، ذبيحة للرب الذىُ ذبح لأجلها. الرب الذى قدم حياته مبذولة لن يقبل أقل من أن تقدم الكنيسة حياتها كلها مبذولة لأجله. هذه هى تكلفة الرحلة: دم الحمل الذى يبعث فى الكنيسة روح بذل الذات بلا حدود!

.3القراءات [قداس الموعوظين، قداس الكلمة]: وهى دليل الرحلة ومرشدها.

القراءات الكنسية المقتبسة من العهد القديم والجديد ومن تاريخ الكنيسة مع كلمة الوعظ هى الخريطة التى من خلالها نفهم مركزنا بالنسبة للّه، وعلاقته بنا ومعاملاته معنا. بدونها نضل الطريق ولا نبلغ غايتنا.

فى القراءات أيضًا تعلن الكنيسة شهادتها للّه الذى هو غاية الرحلة، فتشهد له قدام أولاده وأمام الموعوظين، فيسمعون صوته الإلهى خلال:

ا. رسله: "البولس والكاثوليكون".

ب. أعمال رسله: "الإبركسيس".

ج. أعمال الكنيسة: "السنكسار".

د. التسبيح: "المزامير".

هـ. ابنه: "الإنجيل المقدس".

و. خدامه: "العظة".

تمتزج هذه القراءات بصلوات ترفعها الكنيسة لكى يعمل روح اللّه القدوس فى قلوب السامعين والقرّاء، فيكملوا رحلتهم فى رجاء مفرح.

.4الأواشى: خلال هذه الرحلة الروحية ترفع الكنيسة قلبها أمام العرش الإلهى حتى يحفظ اللّه للكنيسة سلامها (أوشية أو صلاة السلامة)، ويسند خدامها (أوشية الآباء)، ويبارك اجتماعاتها (أوشية الإجتماعات)، حتى تتمم رسالتها بغير إنحراف.

.5ما قبل الأنافورا: إذ يستعد الكل للإرتفاع فى السمويات والجلوس مع ربنا يسوع المسيح، تعلن الكنيسة عن مصالحة اللّه مع الناس فى المسيح يسوع (صلاة الصلح)، ويجيب المؤمنون على ذلك عمليًا بمصالحتهم مع بعضهم البعض (سبازموس أو القبلة الروحية).

.6الأنافورا: وهى دخول فى السماء، حيث يتم حلول الروح القدس، وتحول الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه الأقدسين، مع انتعاشنا روحيًا بتناولهما بروح التسبيح والفرح.

V V V